الفصل الخامس (لماذا يا صديق العمر)

وقف قليلاً يحاول التنفس يحاول أن يهدأ يحاول أن يستفهم ما يحدث له و ما يغيره ثم بدأ في تخبيط كل شيء من حوله و أسقط أشياء قديمة مكومة فوق بعضها و انفتح أمامه ألبوم قديم للعائلة فلاحظ علي الضوء الأصفر القديم الخافت صورة ما شعر بأنه يعرف صاحبها , التقط ما رآه من علي الأرض فوجده ألبوم قديم ووجد المفاجأة صورة لرجل يشبه ذاك الرجل الذي ظهر له في السيارة و مره من قبلها ولكن لم يتحدث ثم المرة التي قال فيها كلاماً متقطعاً و صورته كانت باهته في المشفى , تعجب و برقت عيونه ثم جري إلي أمه ليسألها عن تلك الصورة و حينما صعد لأعلي وجد والده قد عاد من سفره و عندما وقف أمامه فتح فاه ليتحدث و لكن والده بادره بصفعة قوية على وجهه أسقطت من يده الألبوم و رأي أمه غارقة في البكاء و قال والده :" كيف تُبكي عيون أمك التي سهرت عمرها تراعيك و عاشت لأجلك أنت وحيدها " حاول التحدث وليد و لكن والده قاطعه قائلاً:" اعتذر هيا " طأطأ رأسه و تذكر فجأة كل سيئاتها معه ثم رفع رأسه و قال:" كلا لن أعتذر" ثم خرج من المنزل جرياً لا يعرف ماذا به و لا كيف قال مثل هذا الكلام , زاد بكاء أمه و غضب والده و ضرب كفاً بكف متعجباً و متسائلاً هل هذا ولدي ..... ولكن كل شيء تغير بعدها كل شيء.....

بعدها بأسبوع كان ذكري ميلاد سامح و الذي قرر وليد الاحتفال به عند في منزله , تعجب سامح فهو يعرف بأن والد وليد قد طرده من المنزل و ترك خطيبته و أيضاً طُرِد من عمله و قد خربت كل حياته كما تمني و أيضاً ذلك الرجل قد أعطاه التمام بمعني أن كل شيء قد دُمِرْ فماذا يحدث هي

مكالمة هاتفيه قصيرة:" صديقي ذكري ميلادك هذا العام عندنا في بيتنا الذي تربيت فيه معي " فكر سامح :" يا إلهي هل صالح وليد والده بسبب حفل ميلادي معقول لا أعرف لنري ما سيحدث حتى أن والد وليد ووالدته تحدثوا معي بغضب عنه و أنهما لن يسامحاه علي ما فعل عندما حاولت أن أظهر بمظهر من يحاول إصلاح الأمور, لا أعرف لنري , و قد كان و ذهب سامح في الموعد المُحدد و حينما دخل المنزل وجد وليد يرتدي قميص أسود و بنطال أسود و يربع يده خلف ظهره و هو يبتسم ابتسامة خفيفة لا تعبر عن شيء مطلقاً و من خلفه ستارة سوداء كبيرة و كأنها تخفي شيئاً فهو لم يعهد رؤية تلك الستارة في هذا المكان و قال سامح في تعجب :" صديقي وليد لا ترد علي مكالماتي الهاتفية و لا أعرف مكانك منذ أسبوع أين كنت و ما هذا الجو الغريب يا صديق " اتسعت ابتسامة وليد و هو يقف بثبات ثم قال :" صديق...أجل صديق ياااا صديق لقد كنت في رحلة علاج مما كنت فيه و اكتشفت شخص جميل جاءني زائراً ليساعدني شخص لم أعرفه و ساعدني و شخص عرفته كل عمري و أذاني " ابتلع سامح كعادته ريقه بصعوبة ثم قال :" أنا لا أفهم شيئاً مما تقول!!" ابتسم وليد حتى ظهرت أسنانه ثم قال :" الشخص الذي ساعدني هو جدي فمنذ اسبوع اكتشفت صوره قديمة له و عرفت بأنه كان شخصاً صالحاً يُداوم علي ذكر الله ساعدني كثيراً تراءى لي بيت قديم في حارة قديمة و كلام عن تسخير جن وشياطين هل تعرف شيئاً عن هذا الكلام " ارتبك سامح و رجع للخلف خطوتين ناحية باب الشقة قائلاً و هو يتلعثم:" مممم ماذا تقول لا أعرف شيئاً من هذا ماذا كيف تقول هكذا أنا لم أفعل شيء" و سمع صوت من خلفه يقول بتهكم :" لا لم تفعل أحقاً" فوجده والد وليد عندما التفت ليتبين صاحب الصوت ابتلع ريقه بصعوبة و جحظت عيناه في رعب ثم

سمع صوت عن يمينه يقول :" هل فكرت أنك ستنجو بفعلتك ؟" و تبين أنها حنان ترتدي ذاك الفستان الأزرق الذي يعشقها به حينما ترتديه فقال :" ماذا يا حنان لا أفهم ؟" ثم وجد من شد الستارة السوداء لتسقط علي الأرض و رأي من خلفها صورة بحجم الحائط لوليد وسامح و هم صغار تلك التي كان يضعها وليد علي مكتبه و قد كانت أم وليد هي من رفعت النقاب عن الصورة , وهي تقول:" لا سامحك الله أيها الحاقد " ثم قال وليد :" غضبت من أمي و علا صوتي عليها لأول مرة في عمري و ضربني أبي علي وجهي مع أنه لم يضربني حتى و أنا لست ملتزم لإغضابي أمي طُردت من عملي و تركت حبيبتي بيدي خسرتها و لكن ألهمني الله الدخول إلي مسجد و أنا أمشي علي غير هُدي لا أعرف ماذا يحدث لي و هناك قابلت شيخاً حكيت له ما يحدث معي فقرأ سورة الفاتحة علي كوب ماء و أعطاني إياه حتى أشربه فشعرت بألم شديد بعد شُربه و رجعت كل ما في بطني حتى شعرت بأن أمعائي نفسها ستخرج من فمي من شدة الترجيع فربت الشيخ علي كتفي و قال بأنه سحر.. سحرٌ قد شربته و أستقر في معدتي و سبب لي كل ما في حياتي , تذكرت كلمات جدي الذي ظهر لي من الماضي, و المكان الذي قصدته و أنت معي لتساعد صديقك , صديقك الساحر الذي يعمل الأعمال لإيذاء الناس " اضطرب سامح وقال في حدة :" ماذا تقول يا وليد أنا لم أفعل شيئاً .... كاذب هذا الرجل كاذب " فرد وليد :" سألت و عرفت أن لا أحد يسكن البناية المتهالكة سوي هذا الساحر و بالمناسبة هو لم يقل أي شيء لم تفلح الشرطة في القبض عليه و لكني توقعت أنك ستقول هذا الكلام أنت هكذا دائماً تكذب بغباء لتحاول إخراج نفسك من مصائبك ألا أعرفك أنا...يا صديق" نظر سامح لكل من حوله بخوف و هو يرجع للخلف يستعد للهروب و لكن هيهات فوالد وليد يقف خلفه و أستكمل

وليد :" عالجني الشيخ و ألتزمت بالذكر و خلصت من ذاك الشيطان الذي يوسوس لي و لكن لم يعالجني من جرحي منك لماذا كل هذا الحقد لماذا؟" نظر سامح إلي حنان قائلاً :" هو من دفعني لذلك هو من أخذك مني كما أخذ كل أحلامي " ردت عليه بحدة :" أنا لم أحبك قط و من يحب لا يؤذي حبيبه و أنت آذيتني " اقترب وليد من الطاولة التي تحمل كيك حفل الميلاد و قال بتهكم هيا لتطفأ شموع ذكري ميلادك الثلاثون و أنت كما أنت لم تحقق الكثير في حياتك فأقترب منه سامح و أمسك السكين بسرعة و قبل أن يغرزها في قلبه خرج الشيخ من غرفة ما و جعل يقرأ قرآن علي سامح ويقول أذكار :" أخرج منه أيها اللعين أخرج منه باسم الله أخرج منه الآن باسم الله الرحمن الرحيم " فسقط سامح علي الأرض يتألم و يتعذب و يتأوه بصوتٍ عالٍ و الشيخ يقرأ القرآن عليه وسط ذهول الحضور حتى صرخ صرخة عالية و انفجر دماً من عينه اليسرى ثم فقد الوعي كما فقد عينه اليسرى و قال الشيخ لقد خرج منه بفضل الله كان سيقتلك ذلك الجن الذي تلبسه , و هرعت إليه والدة وليد لتُطَببه و أتصل والد وليد بالإسعاف ووقفت حنان خائفة مذعورة بلا حراك و أما الشيخ فقد تحدث بهمس مع وليد قائلاً:" لقد ساعدتك يا ولدي و خرجت من العمل الذي عمله لك بسلام بفضل الله و لكن لِمَ فعلت ذلك ؟" نظر إليه وليد في تعجب فأجابه الشيخ :" أجل أنا أوقن بأنك قررت الانتقام من صديقك فعملت له عمل كي يتلبسه الجن و لكنك دعوتني لآتي لشعورك بالذنب أليس كذلك ؟" حمداً لله أننا أنقذناه قبل أن يؤذيه ذلك الجن و لكنه خسر عين من عينيه , طأطأ وليد رأسه في خجل ثم قال :" هو من بدأ لقد آذاني " قال الشيخ :" هكذا سيبقي بني الإنسان ما بين حاقد و منتقم " .